عوامل انتقال التأثيرات الفارسية إلي فن التصوير العثماني في تركيا من القرن ٩هـ/ ١٥م حتي القرن ١١هـ/ ١٧م

ترجع العلاقة بين الإيرانيين والترك أو التورانيون[١] إلي عصور قديمة، حيث تذكر الأساطير الفارسية ما يفيد أن إيران وتوران كانتا مندمجتين في مملكة تحكم حكم ملك واحد، فيقال إن فريدون وهو سادس ملوك الأسرة البيشدادية كان له أبناء ثلاثة هم سلم وتور وإيرج، فلما عقد نيته علي اعتزال الملك، كتب عهداً وقسم ملكه بين أبنائه بالسوية، فوهب تور التركستان من نهر جيحون إلي الصين، ووهب سلم أرض الروم، وكانت إيران لإيرج، وملوك الترك والعجم والروممن جوهر واحد وأقرباء، وحدث نزاع بينهم وقتل سلم وتور أخاهما إيرج فكان هذا بداية النزاع بين الإيرانيين والترك وهو النزاع الذي لم ينقطع علي مدار تاريخهما، واستمر بعد ظهور الإسلام وخاصة منذ ظهور الدولة الغزنوية، حيث استمر النزاع والصراعات حتي سقوط الدولة الصفوية وضعف السلاطين العثمانيين[٢].

وقد تعددت عوامل الاتصال بين الدولة الفارسية والدولة العثمانية فكانت في بدايتها تتعلق بحكم الجوار وذلك لوقعهم علي طريق الحرير، فكان بلاد الاناضول معبراً تجارياً هاماً بين أوروبا وآسيامنذ قديم الزمان، حيث كانت القوافل تمر عبر الوديان التي تتخلل جباله العالية حتي تصل إلي شواطئ البحر المتوسط حيث تقوم أساطيل البنادقة والجنويين بتوزيع البضائع علي مختلف أنحاء أوروبا، فكان هناك إحد الطرق يصل ما بين أوروبا وإيران ويبدأ من اسكدار إلي آماسيا مارا بازميت وبولي ثم ارزنجان أو أرضروم ومن ثم إلي الشرق، وطريق آخر يتفرع من آماسيا إلي طوقات وسيواس وملطية وديار بكر ليصل إلي الموصل ثم بغداد، وبذلك كان الحرير الإيراني ينقل من تبريز إلي أوروبا عبر هذه الطرق بل كان بعضه يغزل في مغازل بورصة والباقي تتسلمه أوروبا في شكله الخام، وأن الدولة الصفوية قامت دولة داخلية لا شواطئ لها تطل علي أوروبا وأن الدولة العثمانية قد قامت في الأناضول، وكانت في يدها مقاليد التجارة العابرة من أوروبا إلي الشرق، ومن هذا ندرك الأهمية الأقتصادية للأناضول بالنسبة للصفويين وخاصة المراكز التجارية منه ولذا كانت هذه البلاد هي أهم ماستهدفته الهجمات الإيرانية عبر تاريخ الحروب الصفوية العثمانية، هذا بالإضافة إلي وجود عدد لابأس به من القبائل التركمانية الشيعية في هذه المناطق لذا كانت بالنسبة للإيرانيين ذات أهمية اقتصادية ودينية[٣].

وقد أدت العلاقات السياسية والدينية بين الدولتين إلي نشوب العديد من الحروب بينهما، هذا بالإضافة إلي عوامل داخلية أدت إلي هجرة العديد من الصناع والفنانين الفرس إلي الدول المجاورة لها، كما تضمنت عوامل انتقال التأثيرات المنح والهدايا المتبادلة.

---

(١) وهم ينتسبون إلي تور ويسمون بالفارسية تورانيان والألف والنون في اللغة الفهلوية أداة نسبة تنسب الابن إلي أبيه، فكأن الألف والنون تنسب بلاداً إلي تور وهي بلاد الترك، حسين مجيب المصري، صلات بين العرب والفرس والترك، دراسة تاريخية أدبية، مكتبة الأنجلو، القاهرة، ١٩٧١، ص ٣٧٧.

(٢) حسين مجيب المصري، صلات بين العرب والفرس والترك، ص ص ٣٧٥-٤٠١.

(٣) محمد عبد الطيف هريدي، الحروب العثمانية الفارسية وأثرها في إنحسار المد الإسلامي عن أوروبا، الطبعة الأولي، القاهرة، ١٩٨٧، ص ٤٥.

تعد الحروب التي قامت بين الدولتين الفارسية والعثمانية من أهم العوامل التي أدت إلي انتقال التأثيرات الفارسية إلي التصوير العثماني، حيث نتج عن انتصار العثمانيين علي الصفويين في المعارك التي دارت بينهم خاصة استيلاء العثمانيين علي مدينة تبريز(١) أكثر من مرة سلب العثمانيين لكل نفائس مدينة تبريز وكان من بينهم مجموعة كبيرة من المخطوطات التيمورية والصفوية.

وقد نقلت هذه المخطوطات إلي مكتبة الفاتح في خزانة مدينة إستانبول حيث أهتم بها الراعي الجديد وأصلح ما تلف منها كما وجد ضمن هذه المخطوطات مخطوطات لم تكن أكتملت بعد، فقام فنانوا المرسم الملكية بمل الفراغات التي تركت فارغة بمجموعة من التصاوير، كما قدمت بعض من هذه المخطوطات إلي البلاط العثماني عن طريق الهدايا الدبلوماسية التي جاءت نتجية لزيارة الأمراء والسفراء لمفاوضات معاهدات السلام أو لتمثيل حكامهم في مراسم التتويج أو الختان، وقد أثريت خزانة القصر بهذه الهدايا التي تضم أهم الأعمال الفارسية من مخطوطات مغولية وجلائرية وتيمورية وتركمانية وصفوية، وأهتم بها رجال البلاط من رعاة الفن إهتماماً عظيماً(٢).

أولاً: الحروب

يرجع بداية النزاع بين الفارسيين والعثمانيين في العصر الإسلامي إلي القرن ٨هـ/ ١٤م حينما لجأ أمراء العراق(٣) الذين استولي تيمور علي بلادهم إلي السلطان بايزيد الأول، وكان تيمور يدعي وراثته لأملاك في أنحاء الأناضول، فلما التجأ إليه الأمراء التركمان الذين انتزع بايزيد منهم أملاكهم، راحوا يحرضون تيمور علي بايزيد بأنه تجاوز حدوده وانتزع منهم أراضيهم(٤)، وفي إحدي الرسائل التي بعث بها تيمور إلي بايزيد إهانه، حيث ذكره بغموض أصل أسرته وعرض عليه العفو علي اعتبار أن آل عثمان قد قدموا خدمات جليلة إلي الإسلام، واستصغر شأن بايزيد بوصفه بزعيم الترك(٥)، وكان تيمور يري العثمانيين إمارة ضمن امارات الحدود الأخري في غرب الأناضول والعمل علي وحدته تعني ضربة قوية لتيمور لنك بصفته الحامي والوريث(٦).

---

(١) بعد سقوط مدينة هراة في أيدي الصفويين عام ١٥١٠ نقل بهزاد مع غيره من المصورين إلي مدينة تبريز، وبذلك انتقلت مدرسة هراة في الفن إلي تبريز واعتبر بهزاد مؤسس مدرسة التصوير الصفوية، وفي ظل رعاية الشاه إسماعيل الأول ومن بعده ابنه طهماسب لهذة المدرسة، ظهر جيل جديد من الفنانين الإيرانيين قلدوا طريقة بهزاد، وتتلمذ علي يده مجموعة كبيرة من المصورين، نعمت إسماعيل علام، فنون الشرق الأوسط في العصور الإسلامية، القاهرة، ١٩٧٤، ص ٢١٥.

Tanindi, Z. Additions to Illustrated Manuscripts In Ottoman Workshops, Muqarnas, Vol. 17, 2000, p. 149.

(2) Tanindi,Z.; Additions to Illustrated Manuscripts In Ottoman Workshops, Muqarnas, Vol. 17, 2000, p. 147.

(٣) لجأ أحمد جلاير أمير العراق إلي السلطان بايزيد حينما هاجمه تيمور في بلاده فأرسل تيمورلنك إلي السلطان بطلبه فأبي تسليمه إليه. محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية، ص ١٤٦. وقام السلطان العثماني بتعيين أحمد جلاير علي كوتاهية؛ سيد محمد السيد محمود، تاريخ الدولة العثمانية – النشاة – الازدهار وفق المصادر العثمانية المعاصرة والدراسات التركية الحديثة، ص ١٢٦.

(٤) سيد محمد السيد محمود، تاريخ الدولة العثمانية – النشاة – الازدهار وفق المصادر العثمانية المعاصرة والدراسات التركية الحديثة، مكتبة الآداب، البعة الأولي، القاهرة، ٢٠٠٧، ص ١٢٧.

(٥) أحمد عبد الرحيم مصطفي، أصوال التاريخ العثماني، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٣، ص ٥٧.

(٦) سيد محمد السيد محمود، تاريخ الدولة العثمانية – النشاة – الازدهار وفق المصادر العثمانية المعاصرة والدراسات التركية الحديثة، ص ١٢٨.

وقد بدأت الحرب المعروفة بمعركة أنقرة بين الطرفين في عام ٨٠٤هـ/ ١٤٠٣م في وادي جوبوق بانقرة سجالاً، وكان قبل هذه الحرب قد دخل تيمور سيواس واحتلها وقتل قائد حاميتها أرطغرال بن السلطان بايزيد(١)، وقد هزم العثمانيين هزيمة فادحة حيث تفرق الجيش العثماني وبقي بايزيد وحيدا في أرض المعركة مع بعض خواصه، وسقط أسيراً في يد تيمور لنك هو وابنيه موسي چلبيو مصطفي چلبي وبعض الأمراء العثمانيين، واستطاع ابنه الأكبر سليمان الفرار مع الوزير الأعظم علي باشا إلي بورصة، واستولي تيمور علي خزينة الدولة وأرشيفها في بورصة(٢).

بعد ذلك استطاع العثمانيون بسط نفوذهم علي إمارات الأناضول الواحدة تلو الأخري، حيث قام محمد الفاتح بالقضاء علي هذه الإمارات تماما وضمها ضماً مباشراً للأملاك العثمانية، بعد إيقاعه الهزيمة بحاكم آق قويونلي اوزون حسن في عام ٨٧٨هـ/ ١٤٧٣م، عندئذ راح العثمانيون يصطدمون بالدولة الصفوية التي قامت علي المذهب الشيعي ٩٠٧هـ/ ١٥٠١م، وحاولت توظيف القبائل التركمانية في المنطقة لنشر مذهبها في شرق الأناضول، وبسط نفوذها السياسي علي المنطقة، فكان ذلك سبباً لظهور تحدي خارجي آخر للدولة العثمانية، كان له الفضل في نجاح المخططات الأوروبية ضدها، فلم يتردد هذا التحدي في التنسيق مع أعداء الدولة لاستنزاف القوة العثمانية حتي أواسط القرن١٢هـ/ ١٨م، فكان ذلك من أهم الاسباب التي فتت المقاومة العثمانية لما كانت تواجهه في الداخل والخارج(٣).

حرب جالديران

ظهرت الدولة الصفوية الشيعية المذهب في إيران في أوائل القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، وتحولت إلي مشكلة سياسية دينية خطيرة أمام السلطة المركزية العثمانية، وكانت الأمبراطورية العثمانية في حالة دفاع عن العالم الإسلامي ضد هجمات الغرب المسيحي فتصدت في نفس الوقت للدفاع عن المذهب السني ضد الدعايات الشيعية التي بدأها الشاه إسماعيل الصفويبين أهالي الأناضول بشكل مكثف وأساليب منظمة.(٤)

كانت موقعة جالديران ٩٢٠هـ/ ١٥١٤م هي الشرارة الأولي لحروب طاحنة بين الصفويين والعثمانيين، استمرت ما يربو علي قرنين من الزمان أي طيلة حكم الأسرة الصفوية في إيران ولم تنته بانتهاء الحكم الصفوي بل ظل أوارها مشتعلاً زهاء قرن آخر من الزمان، أي أن الحرب بينهم استنفذت ثلاثة قرن، ورغم ما كان يتخلل هذه الحروب من اتفاقيات ومعاهدات سلام، لم يسد بينهما سلام حقيقي، وظل الطرفان طيلة القرون الثلاثة يتربص كل منهما بالآخر متوجساً منه خيفة حتي أصبحت العلاقة بينهما عداءاً تقليدياً.(٥)

وقد تعددت الأسباب التي أدت لنشوب هذه المعركة منها أسباب سياسية وآخري دينية والتي كان أبرزها، محاولة الصفويين نشر المذهب الشيعيبين القبائل في الأناضول مستغلاً سياسة السلطان العثماني بايزيد الثاني السلمية نحو

---

(١) أحمد عبد الرحيم مصطفى، أصوال التاريخ العثماني، ص ٥٧.

(٢) سيد محمد السيد محمود، تاريخ الدولة العثمانية – النشاة – الازدهار وفق المصادر العثمانية المعاصرة والدراسات التركية الحديثة، ص ١٢٩.

(٣) سيد محمد السيد محمود، تاريخ الدولة العثمانية، ص ٣٦١.

(٤) أكمل إحسان أوغلي، الدولة العثمانية، نقله إلي العربية: صالح سعداوي، ج ١، استانبول، ١٩٩٩، ص ٢٢٢.

(٥) محمد عبد الطيف هريدي، الحروب الفارسية العثمانية، ص ٥١.

الشرق وجهاده ضد القوي الأوروبية بصفة خاصة، فحاول أن ينشر المذهب الشيعي لبسط السيطرة الصفوية هناك، وتجاوبت بعض القبائل مع دعوته الشيعية، مما أثار حفيظة السلاطين العثمانيين ضد الصفويين وشعروا بفداحة الخطر الجديد الذي يمثله الشاه إسماعيل الصفوي بالنسبة للعثمانيين[١].

وتبرز الأسباب السياسية حينما أعتلي السلطان سليم الأول[٢] العرش (٩١٨-٩٢٦هـ/ ١٥١١-١٥١٩)، حيث أعلن أخوه أحمد والي اماسية العصيان فقام سليم بقتله وأرسل جيشاً لإحضار ابنه مراد الذي طلب المساعدة من الصفويين، وتوجه إلي الشاه إسماعيل الصفوي الذي كان انذاك في أصفهان، ولما علم الشاه بمقدمه أمر باستقباله استقبالا حافلا خارج المدينة بل واجلسه بجواره في قصر نقش جهان، وقال له اطمئن فسأنتقم لابيك من عمك السلطان سليم وسأقضي عليه وأجعل كل بلاد الروم "الدولة العثمانية" لك، وألبس الأمير تاج الأئمة الأثني عشر، بعد هذا خرج الشاه إسماعيل للصيد وأصطحب معه الأمير مراد فلما رجعوا لمخيهم ظهرت أعراض المرض علي الأمير وتوفي بعد ستة أيام، وحينما علم السلطان سليم أن ابن أخيه التجأ للشاه إسماعيل الصفوي لاستعدائه عليه أخذ في الإعداد للحرب[٣]، توج هذه الأحداث ما قام به الشاه إسماعيل بعد أن تولي السلطان سليم زمام الأمور في السلطنة العثمانية، أرسل سلاطين الدول وملوكها سفرائهم لتهنئة السلطان سليم بجلوسه علي العرش ماعدا الشاه إسماعيل الذي كان يري في سليم مغتصباً للعرش من إخيه أحمد الذي قتله سليم فإعتبر السلطان سليم ذلك إهانه فبيت النية علي مهاجمة إيران.[٤]

---

(١) إسماعيل أحمد ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، مكتبة العبيكان، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٩٨، ص ٥٦؛ عبد العزيز محمد الشناوي، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفتري عليها، ج ١، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٠، ص ١٩.

(٢) وكان السلطان سليم قد تمرد علي أبيه السلطان بايزيد الثاني وأعلن نفسه سلطاناً في ولاية أدرنة فأرسل والده جيشاً لمحاربته ففر إلي بلاد القرم ولكن الإنكشارية أصروا علي الطلب من السلطان بالعفو عن ولده سليم فأرجعه إلي بلاد البلغار وبينما هو في الطريق إليها تجمع الإنكشارية وساروا به إلي العاصمة وطلبوا من السلطان التنازل عن العرش لابنه سليم فقبل السلطان وترك الحكم سنة ١٥١٢م وسافر إلي بلاد اليونان ليبتعد عن القسطنطينية ومشاكلها ولكنه توفي في الطريق ويقال أن ابنه سليم دس له السم خوفاً من عودته إلي الحكم، نزار قازان، سلاطين بني عثمان بين قتال الأخوة وفتنة الانكشارية، الطبعة الأولي، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩٢، ص٤٦. كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة: نبيه أمين فارس منير البعلبكي، الطبعة الخامسة، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٨، ص ٤٤٦. ويطلق عليه المؤرخون العثمانيون ياوز أي السلطان الحاد الباتر العنيد، وينظرون إليه علي أنه بطل يمثل أروع تمثيل العبقرية العسكرية، وقد أستهل عهده بقتل عدد كبير من إخوته، وما لبث فيما بعد أن قتل عدداً كبيراً من رعاياه وأقدر معاونيه، وكان الشعر الفارسي والتاريخ من أحب الأشياء إلي قلبه، ورغم قسوته فإنه كان يميل إلي صحبة العلماء الذين كرمهم، ورقي كثيراً منهم لتولي وظائف عليا وهامة، وكان يصطحب المؤرخين والشعراء إلي ميدان القتال ليسجلوا تطورات المعارك وينشدوا القصائد التي تحكي أخبار الماضي. محمود محمد الحويري، تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطي، الطبعة الأولي، القاهرة، ٢٠٠١، ص ص ٢٠١-٢٠٣؛ أحمد عبد الرحيم مصطفي، أصوال التاريخ العثماني، ص ٧٦.

(٣) نصر الله فلسفي، إيران وعلاقاتها الخارجية في العصر الصفوى "٩٠٦-١١٤٨هـ/ ١٥٠٠-١٧٢٦م"، ترجمة وتقديم: محمد فتحي يوسف الريس، دار الثقافة للطباعة والنشر، ١٩٨٩، ص ص فه – لو

(٤) مصطفي موسي محمد شرف، قبائل القزلباش ودورهم في العصر الصفوي مع ترجمة كتاب تذكرة طهماسب، رسالة ماجستير، غير منشورة، قسم اللغة الفارسية وآدابها، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٩١، ص ١٦٥.

يسبق هذا كله كره سليم الأول للصفويين الذي حاول إثارة والده بايزيد[١] لمواجهة الخطر الشيعي، إلا أن محاولاته ذهبت سدي، وكان سليم الأول في فترة ولايته علي طرابزون قد انتهك حدود إيران عدة مرات، ووصل إلي آذربيجان وآسر إبراهيم شقيق إسماعيل، فأرسل الشاه إلي السلطان بايزيد يعترض علي تصرف سليم، ويؤكد بالصداقة الصفوية العثمانية، ولكن البلاط العثماني لم يحسن وفادة سفير الشاه إسماعيل.

وتجمعت كل هذه الأسباب في تعكير العلاقات الفارسية العثمانية، أدت إلي إندلاع الحرب بين البلدين، وكان من بين البديهي أن ينحو السلطانان بسبب إندلاع شرر تلك الحرب إلي المنحي الديني حتي يكسبوا تأييد شعوبهم[٢]، لذلك استصدر سليم فتوي من شيخ الإسلام تحتم ضرورة قتال الشيعة، واستناداً علي هذه الفتوي، أجري سليم مذابح عامة كثيرة بين الشيعة في الأناضول، ورد الشاه إسماعيل علي ذلك بإقامة مذابح عامة بين السنة في بلاده، وتبادل السلطان والشاه الرسائل العنيفة وتلا ذلك أن أعلن سليم الجهاد الديني وخرج لقتال الصفويين[٣].

ودارت المعركة في ٢٣ أغسطس ٩٢٠هـ/ ١٥١٤م، بينالقوات العثمانية المسلحة بالبنادق والمدفعية وبين القوات الصفوية، وانتصر العثمانيون في المعركة، ودخل السلطان سليم تبريز عاصمة الصفويين[٤]، وفي هذه الأثناء كان معسكر الشاه قد سقط كله في أيدي العثمانيين الذين استولوا علي كل مافيه من خزائن الشاه كما وقعت زوجة الشاه[٥] وزوجات العديد من الأمراء في الآسر أيضاً، وعندما سيقت زوجة الشاه إلي سليم، لم يتردد في إصدار اوامره بتزويجها إلي النشانجي تاجر زاده جعفر چلبي، وقتل جميع الآسري الرجال[٦]، ثم سار السلطان سليم إلي تبريز واستولي علي ما فيها من جواهر ثمينة وتحف وأقمشة وأسلحة[٧]، وأمر بإرسال نحو ألف فنان وعالم وشاعر من تبريز إلي استانبول، وألحقهم جميعا في وظائف في السراي، ويعتبر أهم شخص أرسله السلطان سليم إلي

---

(١) تولي السلطنة بعد وفاة السلطان محمد الفاتح عام ٨٨٦-٩١٨هـ وكان سلطاناً وديعاً، نشأ محباً للآدب، متفقهاً في علوم الشريعة الإسلامية شغوفاً بعلم الفلك. علي محمد الصلابي، الدولة العثمانية "عوامل النهوض وأسباب السقوط"، ج ١، بيروت، ٢٠١٠، ص ٢٣٤، وقد جلس علي كرسي السلطنة في سن ٣٥ من عمره، وعاش ٦٧ عاماً وكان قوي البنية أحدب الأنف أسود الشعر، وقد سلم زمام الملك لابنه السلطان سليم وتوفي وهو ذاهب إلي ديمتوقه فنقل نعشه إلي إستانبول حيث دفن بجوار جامعه الشريف، حضرة عزتلو يوسف بك آصاف، تقديم: محمد زينهم محمد عزب، تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشاتهم حتي الآن، الطبعة الأولي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٥م، ص ص ٥٤-٥٥.

(٢) مصطفي موسي محمد شرف، قبائل القزلباش ودورهم في العصر الصفوي، ص ١٦٥.

(٣) عبد الكريم رافق، العثمانيون والعرب، ص ٥٧، وانظر أيضاً إسماعيل أحمد ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، ص ٥٦.

(٤) إسماعيل أحمد ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، ص ٥٧.

(٥) اشتركت النساء الإيرانيات في هذه الموقعة مع أزواجهن في خوض القتال ومنهن من وقعن في الأسر ومن قتلن وقد أشاد السلطان سليم العثماني ببطولتهن وأمر بدفن من قتلن منهن تكريماً لهن، وقد اشترك في هذه المعركة اثنتان من حريم الشاه إسماعيل هما تاجلي أوتاجلوبيگم وبهروزه خانم. هويدا عزت محمد أحمد، دور المراة في العصر الصفوي، رسالة ماجستير، قسم اللغة الفارسية، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٩١، ص ١٠٠.

(٦) توفيق حسن فوزي، رؤية الوثائق والمصادر التركية للصراع العثماني الصفوي، ص ١٢٨.

(٧) عزتلو يوسف، تاريخ سلاطين بني عثمان، تقديم: محمد زينهم محمد عزب، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولي، القاهرة، ١٩٩٥، ص ٥٨. ٥٨.

أستانبول هو آخر حاكم تيموري لهراة بديع الزمان ميرزا بن السلطان حسين ميرزا بايقرا، الذي لجأ إلي تبريز عندما طرده من هراة جنكيز أوغلو محمد شيباك خان، ولقي بديع الزمان احتراما من الشاه، وأبدي له السلطان سليم احتراما أكثر وخصص له راتبا كبيرا، وقد أجلسه علي عرش أقامه بجانبه، وقد توفي الخاقان التركستاني وشاعر التركية في استانبول وعمره ٤٦ سنة في عام ٩٢١هـ/ ١٥١٥م،(١) وقد أحضر هذا الأمير معه مكتبته الضخمة والتي تشتمل علي مجموعة كبيرة من المخطوطات التيمورية التي ترجع إلي مدينة هراة(٢)، وهناك وثيقة غير منشورة مؤرخة بـ رجب ٩٢٠هـ/ سبتمبر ١٥١٤م محفوظة في ارشيف قصر طوبقابي سراي بإستانبول يذكر بها بعض من غنائم السلطان سليم من مدينة تبريز من أنه أخذ سفنذهبية وفضية وخزف وفراء واقمشة مطرزة وسجاد ثري بالإضافة إلي كل أنواع الحرفيين إلي ورش البلاط من خياطيين وعمال تطعيم الخشب وصاغة ذهب وموسيقيين ومجموعة كبيرة من المصوريين والخطاطيين والمجلديين،(٣) وتحتوي سجلات أرشيف مكتبة قصر طوبقابي سراي المؤرخة بعام ٩٢٢هـ/ (١٥١٦-١٥١٧م) علي أسماء ستة عشر فناناً بعضهم يحمل لقب التبريزي، أخذوا هم وأسرهم من تبريز إلي استانبول، بالإضافة إلي مجموعة كبيرة من المخطوطات التي أخذت من مجمع تبريز الفني والتي كان بعضها غير مكتمل فعمل هولاء الفنانين علي تكملته.(٤)

وكان قيام شقيق طهماسب ووالي شيروان "القاص ميرزا"(٥) بحركة عصيان ضد أخيه عام ٩٥٤هـ/ ١٥٤٠م، وفراره إلي استانبول عقب فشله في السيطرة علي الحكم في إيران، حافزاً جاداً للسلطان سليمان القانوني للتفكير في محاولة الإستفادة من هذا الصراع، ولذلك قرر تجريد حملة جديدة لإستعادة الأراضي التي احتلها الصفويين وتوطيد الحكم العثماني في المنطقة، وبالفعل دخل سليمان تبريز دون مواجهة أية مقاومة، حيث كان طهماسب قد غادر المدينة قبل وصوله، وتمكنت القوات العثمانية من إستعادة قلعة وان الإستراتيجية في أغسطس ٩٥٥هـ/ ١٥٤٨م، وفتح بلاد الگرج الواقعة علي الحدود العثمانية الإيرانية ثم عاد إلي إستانبول(٦).

و كان القاص ميرزا من أهم الأشخاص الذين ساهموا في إغناء المجمع الفني بتبريز كراعي لفنون الكتاب حيث انتجت في عهده مجموعة كبيرة من المخطوطات الصفوية المزينة بالصور، وقد أثر مجيء القاص ميرزا إلي

---

(١) يلمازا اوزتونا، موسوعة الامبراطورية العثمانية، ترجمة: عدنان محمود سلمان، مراجعة محمود الانصاري، ج ١، استانبول، ١٩٨٨ ص ٢١٩. وكان بديع الزمان صديق مقرب للشاعر مير علي شيرانوئي وعندما حضر إلي إستانبول أحضر معه مجموعة من أعماله المصورة وبعد فترة من قدومه إلي استانبول صورت أعمال مير علي شيرانوئي في النقش خانة الملكية.

Tanindi, Z. Additions to Illustrated Manuscripts In Ottoman Workshops, Muqarnas, vol. 17, 2000, p. 148.

(2) Titley, N.; Persian Miniature Painting and Influnce, p. 135.

(3) Tanindi, Z. And Çagman, F.; The Topkapi Saray Museum, The Albums And Illustrated Manuscripts, Translated, Rogers, J. M., Thames and Hudson, London, 1986, p. 185.

(4) Titley, N.; Persian Miniature Painting, p. 135.

(٥) عن القاص ميرزا انظر: توفيق حسن فوزي، الصراع العثماني الصفوي ١٥٢٠-١٦٢٢ علي ضوء المصادر والوثائق التركية، رسالة دكتوراه، قسم لغات الأمم الإسلامية، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٩٣، ص ٤٣.

http://www.iranicaonline.org/articles/alqas-alqasb-alqas-mirza-safawi

Arcak, Sinem; Gifts in motion: Ottoman –Safavid Cultural Exchange,1501-1618, degree of Doctor of Philosophy, faculty of The Graduate school Of The Unversity of Minnesota ,2012, p. 88.

(٦) سيد محمد السيد محمود، تاريخ الدولة العثمانية، ص ٢٧٣.

استانبول علي فن تصاوير المخطوطات،فقد أحضر القاص ميرزا عند قدومه إلي إستانبول مجموعة كبيرة من أثمن المخطوطات الصفوية، وقد رافقه كلا من الخطاط افلاطون الشيرواني كاتب دار القاص ميرزا، وكان ماهر أيضا في التصوير وإضاءة المخطوطات، وفتح الله عارف جلبي ت ١٥٦١م والذي طلب منه انتاج شاهنامة سليمان القانوني وعين كنشنجي عند السلطان سليمان القانوني[١]، وقد سجلت الهدايا التي احضرها معه القاص ميرزا ليقدمها للسلطان العثماني بشكل مفصل في مخطوط سليمان نامة ولكن العريفي مؤلف المخطوط لم يحدد كمية الهدايا أو أعداد المخطوطات التي قدمها الأمير للسلطان سليمان، والتي نالت اعجاب الحضور بشكل كبير في البلاط العثمانيوكان من بين هذه الهدايا مجموعة كبيرة من نسخ القران الكريم مكتوبة من قبل أعظم استاذة الخط ومنهم الخطاط ياقوت من القرن ٧هـ/ ١٣م والخطاط عبد اللة الصيرفي من القرن ٨هـ/ ١٤م، ومجموعة آخري من المخطوطات ولكنها ليست محددة بعناوبين "ويرجح انها كانت كتباً في الشعر والنثر مزينة بصور أنيقة ترجع إلي مدينة هراة وشيراز وتم نسخها بواسطة أمهر الخطاطين مثل سلطان محمد والتصاوير من عمل المصور بهزاد، والذي يدل علي صحة هذا الكلام اشادة مؤلف مخطوط سليمان نامة بهذه المخطوطات وتشبهه لها بالزمرد واللؤلؤ".[٢]

وعلي الرغم من ذلك لم تنقطع الحوادث علي طول الحدود، فخرج العثمانيون لحرب إيران للمرة الثالثة حتي يحولوا دون الغارات الصفوية من أن تزعزع الأمن في شرق الأناضول وجنوبه الشرقي وأمن بغداد علي السواء، فتقدم الجيش العثماني حتي نخجوان مما أوقع الصفويين في موقف صعب فطلبو الصلح، وعقدت بينهم معاهدة آماسيا٩٦٢هـ/ ١٥٥٥م، وقد خففت هذه المعاهدة من حدة الصراع الديني والسياسي بينهم، كما شكلت الأساس للمعاهدات التي جاءت بعدها،[٣] وبذلك أنهت هذه المعاهدة ٣٧ عاماً من الحروب بين الطرفين وبموجب المعاهدة التي تعد الأولي من نوعها بين العثمانيين والصفويين، بقيت أزربيجان ومركزها في تبريز ومنطقة شرقي الأناضول وعراق العرب تحت النفوذ العثماني، وقد استمرت المعاهدة قائمة خمسة وعشرين عاماً حتي وفاة طهماسبعام ٩٨٤هـ/ ١٥٧٦م.[٤]

وقد ساد الهدوء الجبهة الإيرانية طيلة خمسة وعشرين عاما وان كانت لاتخلو من السفارات والرسائل المتبادلة المحملة بالهدايا والتحف الثمينة والمخطوطات المصورة بأيدي أشهر الفنانين الفرس، وقد وقع خلال هذه الفترة بعض الأحداث التي كادت أن تعصف بهذا السلام ومنها هرب الأمير بايزيد بن سليمان القانوني إلي إيران وإكرام وفادته في البلاط الإيراني طمعاً في مساومة أبيه[٥].

---

(1) Tanindi, Z. Additions To Illustrated Manuscripts In Ottoman Workshops, Muqarnas, Vol. 17, 2000, p. 149; Arcak,Sinem; Gifts in motion: Ottoman –Safavid Cultural Exchange ,1501-1618,degree of Doctor of Philosophy,faculty of The Graduate school of The Unversity of Minnesota ,2012, p. 87. note 25.

(٢) وصفت هذه الهدايا بشكل مفصل في
Arcak, Sinem; Gifts in motion: Ottoman–Safavid Cultural Exchange, p. 92-97

(٣) أكمل إحسان أوغلي، الدولة العثمانية، ج ١، ص ٤١.

(٤) سيد محمد السيد محمود، تاريخ الدولة العثمانية، ص ٢٧٣.

(٥) محمد عبد الطيف هريدي، الحروب العثمانية الصفوية، ص ٦٥.

وبعد وفاة الشاه طهماسب حدث صراع بين ابنائه علي العرش، حيث كان الشاه اسماعيل الثاني (٩٨٤-٩٨٥هـ/ ١٥٧٦-١٥٧٧م) يميل إلي المذهب السني الشافعي، فحدث صراع بين ابناء الشاه طهماسب، نجح علي اثره الجناح الشيعي بقيادة محمد خدابنده ليستقر له أمر حكم إيران (٩٨٥-٩٩٥هـ) وكان يكن شعورا عدائيا ضد العثمانيين، وكان هذا مؤشراً لتجدد الحرب بين الصفويين والعثمانيين،[١] حيث كان هجوم الإيرانيين علي إحدي قوافل الحرير العثمانية أثناء خروجها من جيلان سبباً كافياً لاندلاع الحرب، واتجه الجيش العثماني عام ٩٨٥هـ/ ١٥٧٧م شرقاً فاستولي علي تفليس، حيث انضم إليه جيش عادل كراي حاكم القرم والتحم الجيشان وهزم جيش القرم وآسر حاكمها، مما أدي إلي جرأة الجيش الإيراني فلم يفر من ساحة القتال كالعادة وحمي وطيس القتال بين الطرفين حتي غشيهما الليل فلم يأبها به وواصلا القتال علي ضوء المشاعل ولذا أطلق علي هذه الموقعة "موقعة المشاعل" وبلغت خسائر الإيرانيين فيها سبعة آلاف قتيل، ولم تحسم نتيجية الحرب لأي من الطرفيين واستمرت المفاوضات إلي أن تولي الشاه عباس الأول ٩٩٥-١٠٣٧هـ/ ١٥٨٦-١٦٢٧م الحكم بعد تنازل أبيه، وقد آثر الشاه عباس الصلح لكسب مزيد من الوقت لبناء جيش قوي[٢] والتي أطلق عليها معاهدة إستانبول ٩٩٨هـ/ ١٥٩٠م وقد أجبر الشاه عباس علي ارسال شقيقه حيدر ميرزا علي رأس وفد لعقد الصلح مع العثمانيين وفيها بقيت تبريز والمناطق المحيطة بها من أذربيجان وغيرها من المدن المحيطة بها تحت الإدارة العثمانية، بالإضافة إلي بقاء حيدر ميرزا محجوزاً كرهينة لدي العثمانيين ضماناً لتنفيذ بنود المعاهدة.[٣]

لم يقدر للصلح الذي أقرته معاهدة استانبول الأولي أن يطول لأكثر من عام إذ سرعان ما نُقض، واشتبك الفريقان في معارك طاحنة استمرت قرابة ربع قرن، حيث راي الشاه عباس الأول أن بنود المعاهدة مجحفة بحق الصفويين وكان لابد من تغييرها، وعلي الجانب العثماني فبعد وفاة السلطان مراد الثالث[٤] جلس علي العرش السلطان محمد الثالث[٥] الذي طلب إعادة النظر في معاهدة ١٥٩٠م للحصول علي المزيد من الامتيازات وأن يرسل ابنه الأكبر إلي استانبول عوضاً عن حيدر ميرزا الذي توفي عام١٠٠٥هـ/ ١٥٩٦م، الأمر الذي رفضه الشاه عباس خاصة وأن ابنه هو ولي عهده وسيكون ملكا من بعده وعلي أثر هذا قامت بينهم مجموعة من الحروب

---

(١) يلمازا اوزتونا، موسوعة الامبراطورية العثمانية، مج ١، ص ٣٩٨.

(٢) محمد عبد الطيف هريدي، الحروب العثمانية الصفوية، ص ٧١.

(٣) سيد محمد السيد محمود، تاريخ الدولة العثمانية، ص ٣١٠.

(٤) تولي عرش السلطنة من عام ٩٨٢هـ/ ١٥٧٤م إلي ١٠٠٣هـ/ ١٥٩٥م وعرف عنه الثبات وقوة العزيمة، إلا أن تيار الترف جرفه أكثر من أبيه الأمر الذي دفع بأمه نور بانو وزوجته صفية إلي التدخل في شؤون الحكم الحكم وبسط سلطانهم عليه، مما ترتب علية إثارة المشاكل في البلاط العثماني.
زياد حمد الصميدعي، جمال الدين فالح الكيلاني، تاريخ الدولة العثمانية رجال وحوداث، الطبعة الأولي، فاس المغرب، ٢٠١٣، ص ٨٠، وكان ميالاً للنساء حتي أنجب منهن ١١٥ ولداً ثم توفي فجأة عام ١٠٠٣هـ/ ١٥٩٤م ودفن في تربته بجوار جامع اجيا صوفيا عزتلو يوسف بك آصاف، تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشاتهم حتي الآن، ص ٧٠.

(٥) ولد السلطان محمد الثالث عام ٩٧٤هـ/ ١٥٦٦م وجلس علي سرير السلطنة عقب وفاة والده باثني عشر يوماً لأنه كان مقيماص في مغنسيا وحال جلوسه أصلح الأحوال المختلة في الأمور الداخلية للسلطنة، وقد توفي عام ١٠١٢هـ/ ١٦٠٣م فدفن بجامع اجيا صوفيا بجوار ضريح السلطان سليم خان الثاني، عزتلو يوسف بك آصاف، تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشاتهم حتي الآن، ص ص ٧٠-٧١.

أرهقت الطرفين استمرت من سنة ١٦٠٣م إلي ١٦١٢م، وجعلت إمكانية الصلح ضرورة ملحة بعد أن استنزفت مجموعة الحروب اقتصاد وقوي كل منهما، وتلي ذلك مجموعة من المعاهدات لم تدم طويلا اذ سرعان ماعادت الحروب بينهم تظهر مرة آخري واستمرت خمس عشرة عاماً انتهت باستعادة العثمانيون لبغداد سنة ١٦٣٨م، بعد أن حاول الصفويون السيطرة عليها، وكانت هذه الحرب هي الأخيرة بين الطرفين حيث انتهت بمعاهدة صلح عام ١٦٣٩م بعد مجموعة كبيرة من الحروب أنهكت قواهما وأضرت باقتصادهما ضرراً لم تستفد منه سوي القوي الأوروبية، ولعبت العلاقة الدبلوماسية دوراً مهماً في امتصاص الأزمات والمستجدات الطارئة بينهما.(١)

وكانت من نتيجة الحروب والصراعات المتبادلة بين الطرفين أن كثرت السفارات الدبلوماسية المحملة بالهدايا الثمينة والمخطوطات الفارسية المصورة التي كانت النواة التي اعتمد عليها فنانوا المرسم العثماني في تنفيذ تصاوير المخطوطات العثمانية، كما كان لوجود القادة العثمانيين معسكريين في مناطق الحدود مع ايران قيامهم بجمع مجموعة كبيرة من المخطوطات الفارسية المزوقة بالصور إما عن طريق الشراء أو عن طريق تقديمها كهدايا إلي هولاء القادة من نظرائهم الفرس.

وعلي الرغم من سلسلة الحروب والصراعات بين الجانبين خاصة الفترة من عام ١٥٧٨ حتي عام ١٦١٢ والتي كان لها اثرها السلبي علي العالم الاسلامي في ذلك الوقت، الا انها مكنت حكام الدولتين وبعض من كبار الشخصيات بالاهتمام بفنون الكتاب وخلال هذه الفترة حصلت خزينة مكتبة القصر العثماني علي عدد كبير من المخطوطات الفارسية المصورة،(٢) المخطوطات الفارسية المزوقة المحفوظة في مكتبات استانبول التي حصل عليها العثمانيين كهدايا او قاموا بشرائها عندما كانوا يتمركزون علي الحدود بين البلدين اثناء الحروب، لا نجد من بينها مخطوط يرجع إلي ما بعد عام ١٦٠٢هـ وهذا التاريخ يشير إلي بداية نجاح الصفويين وانسحاب الجيوش العثمانية، كما يدل علي الارتباط ما بين الصراعات التي كانت دائرة مابين الدولتين ووصول هذه المخطوطات إلي استانبول.(٣)

الهدايا والسفارات

يمثل التاريخ الدبلوماسي للدولتين العثمانية والصفوية جانباً مهماً في العلاقات بين البلاطين لأنه يعكس بصورة واضحة مجمل التطوارات السياسية بين الدولتين ويوضح النوايا الظاهرة والباطنة لكل طرف.(٤)

---

(١) عباس إسماعيل صباغ، تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية "الحرب والسلام بين العثمانيين والصفويين"، دار النفائس للطباعة والنشر، الطبعة الأولي، بيروت، ١٩٩٩، ص ص ١٨٥-١٩٦.

(2) Cağman, F. & Tanindi, Z.; Remarks On Some Manuscripts from The Topkapi Palace Treasury In The Context of Ottoman Safavid Relations,Muqarnas, Vol. 13, Brill, 1993, p. 144.

(3) UluÇ, L.; The Ottoman Contribution to Sixcteenth Century Shirazi Manuscripts Production, p. 125.

(٤) عباس إسماعيل صباغ، تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية، ص ١٧٣. وقد بلغت عدد السفارات التي أرسلها الشاه الصفوي إلي السلطان العثماني ثمانية عشر سفارة مسجلة في المصادر العثمانية فيما بين عامي (١٥١٤-١٦٠٠م)
UluÇ, L.; The Ottoman Contribution to Sixcteenth Century Shirazi Manuscripts Production, Turkish Art 10' Congre's , 1999, p. 125.

وكانت الهدايا التي أرسلها الفرس إلي البلاط العثمانيمن أهم العوامل التي أدت إلي انتقال التأثير الفارسي إلي التصوير العثماني، حيث تضمنت هذه الهدايا مجموعة قيمة من المخطوطات الفارسية التي كانت الركيزة التي اعتمد عليها التصوير العثماني.

نتجية للحروب الكثرة التي دارت بين الدولتين الصفوية والعثمانية، فقد كثرت الرسائل المتبادلة بينهم إما للسعي وراء المعاهدات السياسية أو رسائل للتهئنة بالجلوس علي العرش أو التعزية أو إرسال سفارات محملة بالهدايا في حفلات الختان، وكانت الرسائل ترسل مع سفارات كبيرة الحجم وتكون محملة بمجموعة ضخمة من الهدايا، ولما كانت المخطوطات الفارسية من الهدايا النفيسة في هذه الفترة وكان العثمانيين يروق لهم الذوق الفارسي في تصاوير المخطوطات فكانت السفارات المرسلة من الجانب الفارسي إلي الدولة العثمانية تكون محملة بالكثير من الهدايا النفيسة وأهمها المخطوطات الفارسية المزوقة بالتصاوير، ومن هذه الرسائل:

- الرسالة التي بعثها الشاه إسماعيل عند وضعت الحرب أوزارها، فقد أرسل وفداً من حاشيته إلي أماسيا، حيث يقيم السلطان سليم الأول، وحّملهم بالهدايا النفيسة، وكلفهم بعقد اتفاق صلح مع السلطان بشرط أن يتم الأفراج عن زوجة الشاه الأسيرة "بهروزة خانم" إلا أن السلطان رسم باعتقال الوفد، وزوج "بهروزة خانم" من أحد رجاله.
- أرسل الشاه إسماعيل عام ٩٢٩هـ/ ١٥٢٢م سفارة صفوية محملة بالهدايا للتعزيه بوفاة السلطان سليم، ولتهانيه بجلوس السلطان سليمان علي العرش وفتحه جزيرة رودس.(١)

ومع منتصف القرن ١٠هـ/ ١٦م خاصة بعد معاهدة آماسيا عام ٩٦٤هـ/ ١٥٥٥م بدأت المخطوطات الفارسية ترد إلي أستانبول كهدايا دبلوماسية،(٢) وقد سبق عقد هذه المعاهدة بعض المساعي من الجانبين تخللها ارسال بعض السفارات منها إرسال الشاه طهماسب المبعوث سنان بيك يرافقه عضو من الحراس الملكين وهو شاه قولي بيك، وفي أثناء العودة أرسل السلطان سليمان مجموعة من الهدايا المفضله محملة مع شاه قولي بيك، وبعد رجوعه إلي الشاه طهماسب، بعث الشاه رسالة إلي السلطان سليمان لتوطيد الصداقة بينهما وبالمقابل أرسل السلطان سليمان سفراء موثوق بهم ومعهم رسائل تحمل التحيات للشاه، وأعقب ذلك المفاوضات الرسمية لعقد المعاهدة، التي اختتمت بالتوقيع علي معاهدة آماسيا مع تبادل الهدايا والوثائق، ويتحدث مؤرخ البلاط العثماني العريفي عن هذه الهدايا في مخطوطته سليمان نامة أن من بين هذه الهدايل مظلة مطرزة بالذهب لخيمة تشبه حديقة الورد وصناديق مليئة بالذهب والحرير المزين بالرسوم التصويرية والمجواهرات والاواني بعدد لا يحصي من هذه الأشياء وغيرها من الأشياء النادرة.(٣)

---

(١) عباس إسماعيل صباغ، تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية، ص ١٧٧. وتصور المخطوطات ارسال السفير الصفوي في اعقاب الحملة الأولي الأولي علي إيران عام ٩٤٢هـ/ ١٥٣٥م وذلك في مخطوط سليمان نامة لعاريفي المحفوظ في متحف طوبقابي سراي، حيث تصور السفير الصفوي ومعه بعض منرجال حاشية الشاه يصطفون حوله: للمزيد أنظر:

Arcak, Sinem; Gifts in motion: Ottoman –Safavid Cultural Exchange,1501-1618, degree of Doctor of Philosophy, faculty of The Graduate school of The University of Minnesota, 2012, p. 26.

(2) Titley, N.; Persian Miniature Painting, p. 134.

(٣) ويسرد السفير النمساوي Ogier de Busbecq الذي كان موجود في البلاط العثماني في ذلك الوقت الهدايا الصفوية المرافقة للوفد الصفوي فيذكر "أن السفير الصفوي وصل ١٠ مايو وكان قد أحضر معه السجاد الرائع الملمس والخيم البالبلية المطرزة علي الجانبين بمختلف الألوان، ومجموعة من الدروع الرائعة ومجوهرات بديعة الزخارف، ويتقدم كل هذه الهدايا نسخة من القران الكريم".

– وقد أرسل الشاه طهماسب سفارة إلي البلاط العثماني في عام ٩٧٦هـ/ ١٥٦٨م لتهنئة السلطان سليم الثاني بجلوسه علي عرش السلطنة،(١) حيث بعث الشاه الصفوي وفداً رفيع المستوي، ضم ثمانمائة رجل برئاسة "شاه قولي خان" أمير إيروان مع هدايا لا توصف لكثرتها ونفاستها، وقدمها رئيس الوفد للسلطان بعد أن هنأه بجلوسه علي سدة العرش، وقد كان مقدار الحفاوة التي قوبل بها وفد الشاه من قبل العثمانيين أن جلل بثمانية آلاف فارس، رافقته من أرض روم أدرنة، حيث يقيم السلطان كما كان لمراسم استقباله أبهة جعلت سفراء دول أوروبا في زوايا البلاط، وبعد أن أقام سفير الشاه فترة بضيافة الصدر الأعظم التقي سفير الشاه مرة أخري بالسلطان وتسلم منه رسالة ودية وهدايا لإيصالها إلي الشاه، وقبل أن يغادر سفير الشاه البلاط العثماني عائدا إلي بلاده، حصل من الحكومة العثمانية علي مصادقة لصلح أماسية، فحملها مع الرسالة وهدايا السلطان وقدمها إلي الشاه في قزوين(٢).

وكان من ضمن هدايا الشاه للسلطان العثماني مجموعة من المرقعات الرائعة ونسخة من شاهنامة الفردوسي المعروفة بشاهنامة طهماسب (٩٤٢-٩٢١هـ/ ١٥١٥-١٥٣٥م) تحت رعاية الشاه طهماسب، وقد بقيت هذه الشاهنامة في المكتبة العثمانية الملكية بقصر طوبقابي سرايحتي بداية القرن ١٣هـ/ ١٩م ثم فرقت ووزعت اجزاء منها في مجموعات ومتاحف مختلفة(٣) ويذكر أحمد فريدون باشا في وقائعه نزهة الاسرار والاحبار علي أن المخطوط الذي قدمه شاه قولي المبعوث الصفوي كهدية للسلطان سليم الثاني في ١٧ شعبان ٩٧٥هـ/ ١٦ فبراير ١٥٦٨م في أدرنة يحتوي علي ٢٥٩ تصويرة(٤)، هذا بالإضافة إلي خمتين من القماش المطرز بالذهب وسرداق فخم وصف فاخر من الجواهر والمنسوجات الرائعة ونسخة من مصحف لعلي بن الي طالب(٥)، وصندوقين من

Arcak, Sinem; Gifts in motion: Ottoman–Safavid Cultural Exchange, 1501-1618, p. 29-30.

ويوجد تصويرتان من مخطوط سليمان نامة تصور استقبال المبعوثيين الصفويين قبل وأثناء المعاهدة الأولي تصور المبعوث الصفوي يستقبله السلطان سليمان في المخيم الأمبراطوري بآماسيا ويحيه الميعوث وهو يسجد علي الأرض، والثانية أثناء عقد المعاهدة وهي في صفحتين متقابليتين وفيها يظهر المبعوث الصفوي ومعه مجموعة من الوزراء ورجال البلاط الصفوي يصطفون علي الجانبين حاملين مجموعة من الصناديق المحملة بهدايا الشاه طهماسب.

(١) صورت هذه السفارة في صفحتين متقابلتين مخطوط "نزهة الأسرار والأخبار سفر سيجفتار"، يرجع إلى سنة ٩٧٦هـ/ ١٥٦٩م، ومحفوظ بمتحف طوبقابي سراي في استانبول

Arcak, Sinem; Gifts in motion: Ottoman–Safavid Cultural Exchange, 1501-1618, pp. 19, 33.

(٢) عباس إسماعيل صباغ، تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية، ص ١٨٤. وهناك وصف لهذه الحملة ذكره سنام أركاك في رسالته (أن علي رأس هذا الموكب شاه قولي يرافقه ١٢٠ رجل من كبار الشخصيات في الدولة يضعوا جمعياً علي رؤوسهم عمامات مذهبة، ومائتي رجل علي ظهور الخيل يرتدي الجميع ملابس مطرزة بالذهب، وخلفهم مجموعة من التجار يقدروا باربعمائة تاجر، ويرافقهم الفين خادم انتقلوا علي ظهور الجمال والحمير، وكان من بين هذه المجموعة حوالي ثلاثين موسيقي ينفخون البوق والمزمار والطبول وغيرها من الأآلآت الموسيقية.

Arcak, Sinem; Gifts in motion: Ottoman–Safavid Cultural Exchange, 1501-1618, pp. 40-41.

(3) Titley, N.; Persian Miniature Painting, p. 135; Arcak,Sinem; Gifts in motion: Ottoman–Safavid Cultural Exchange, 1501-1618, p. 21.

(4) Cağman, F. And Tanindi, Z.; Remarks on Some Manuscripts From The Topkapi Palace Treasury In The Context of Ottoman Safavid Relations, Muqarnas, Vol. 13, Brill, 1993, p. 144, Nots 1.

(5) Rüstem,ü.; The Afterlife Of A Royal Gift: The Ottoman Inserts Of The Shahnama- I shai, Muqarnas, vol. 29, p. 245

اللولؤ علي هيئة الكمثري وهي نادرة الشكل، وأربعين طائر من طيور الباز، وبوصلات فضة وسجاد فخم ولوحات خزفية، وثريا فخمة[١]، وقد حُملت هذه الهدايا علي ٤٤ أربعة واربعين جملاً،[٢] وقدم شاه قولي رسالة الشاه داخل صندوق ذهبي ومعه مجموعة كبيرة من المجوهرات[٣].

ـ وقد أرسل الشاه طهماسب وفداً رفيع المستوي برئاسة طوقمان محمد خان استاجلو"ابن شاه قولي خان" حاكم إيروان وبرفقته مئتين وخمسين رجلاً عام ٩٨٤هـ/ ١٥٧٦م، وذلك لتهنئة السلطان مراد الثالث[٤] بجلوسه علي العرش، وجاءت محملة بمجموعة كبيرة من الهدايا حيث حملت علي خمسمائة جمل[٥]، وهي ٦ جرارات مليئة بالماس، الزمرد، الياقوت، اللؤلؤ، والهدايا الآخري[٦]، وقد تضمنت هذه الهدايا مجموعة من المخطوطات من بينها بينها مرقعة محفوظة في مكتبة الجامعة بإستانبول تحت رقم (F.1422)، ويتضمن تصاوير تمثل كليلة ودمنة وترجع إلي بداية القرن١٠هـ/ ١٦م، ومرقعة آخري محفوظة في متحف طوبقابي سراي تحمل رقم H.2161 وتحتوي علي مجموعة من التصاوير الرائعة التي ترجع إلي المجمع الفني لشاه طهماسب[٧]، بالإضافة إلي ثماني ثماني عشرة نسخة من المصحف الشريف، و ٦٠ ديواناً من دواوين الشعراء الفرس، ونسخة من شاهنامة الفردوسي[٨]، وخيمة رائعة و ٤٠ سجادة من الحرير، ومجموعة من الحيوانات البرية.[٩]

– ونجد في قائمة الهدايا التي أرسلها الشاه الصفوي محمد خدبنده مع السفارة التي ذهبت لحضور حفل ختان الشهزاده محمد في عام ٩٩٠هـ/ ١٥٨٢م برئاسة السفير إبراهيم خان يرافقه حمزة ميرزا ابن الشاه، عدد ثمانية عشر مخطوطاً منها مخطوطان محفوظان في مكتبة طوبقابي سراي زوقا في شيراز وعليهما كتابة أنهما مقدمان من الشاه وعليهما تاريخ ٩٩٠هـ/ ١٥٨٢م وهو نفس عام حفلة الختان[١٠]. وكان من بين المخطوطات نسخة من

---

(1) Arcak, Sinem; Gifts in motion: Ottoman–Safavid Cultural Exchange, 1501-1618, p. 36.

(2) Tanindi, Z. Additions To Illustrated Manuscripts In Ottoman Workshops, Muqarnas, vol.17, 2000, p. 147.

أرسل الشاه طهماسب مع هذه السفارة االممتلكات الخاصة بالأمير بايزيد أخو السلطان سليم الثاني الذي لجأ إلس بلاط الصفويين ضد أبيه السلطان سليمان، وقد سلمه الشاه طهماسب لأبيه الذي قتله هو أبنائه جميعاً

Arcak, Sinem; Gifts in motion: Ottoman–Safavid Cultural Exchange, 1501-1618, p. 43.

(3) Arcak, Sinem; Gifts in motion: Ottoman–Safavid Cultural Exchange, 1501-1618, p. 62.

(٤) عرف عن هذا السلطان ولعه بجمع المخطوطات المصورة وعرف الصفويين هذا الأمر فتضمت هدايهم مجموعة كبيرة من المخطوطات. Soudavar, A.; The Age of Muhammadi, p. 66.

(٥) عباس إسماعيل صباغ، تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية، ص ١٨٥.

(٦) يلمازا اوزتونا، موسوعة الأمبراطورية العثمانية، ج ٢، ص ٣٩٨.

(7) Titley, N.; Persian Miniature Painting, p. 135.

(8) Tanindi, Z. Additions to Illustrated Manuscripts In Ottoman Workshops, Muqarnas, Vol. 17, 2000, p. 147.

(9) Arcak, Sinem; Gifts in motion: Ottoman–Safavid Cultural Exchange,1501-1618, p. 173.

(10) UluÇ, L.; The Ottoman Contribution to Sixcteenth Century Shirazi Manuscripts Production, p. 126.

مخطوط خمسة نظامي من عمل المصور بهزاد ومخطوط اسكندر نامة مكتوب بالتركي، ونسخة من الشاهنامة[١].
الشاهنامة[١].

وقد أرسل الشاه عباس وفداً رفيع المستوي برئاسة "مهدي قولي خان" برفقة حيدر ميرزا ابن أخيه عند توقيع معاهدة السلام الثانية "معاهدة إستانبول" بين الصفويين والعثمانيين في عام ٩٩٨ هـ/ ١٥٩٠م،[٢] وكانت هذه البعثة البعثة محملة بمجموعة من الهدايا، حيث نجد أول ثمانية عشر هدية كانت مخطوطات قدمها الأمير الصفوي حيدر ميرزا،[٣] وكان من بين هذه المخطوطات مخطوط هفت أورنج الذي صوره فروخ بكوديوان حافظ الذي صوره سليمان ميرزا[٤]، ونسخة من الشاهنامة ونسخة من مخطوط خمسة نظامي ونسخة من مخطوط يوسف وزليخة ومخطوط بستان سعدي ومخزن الأسرار وهفت منظر لهاتفي، وكليات سعدي وقد وردت قائمة بهذه المخطوطات في وثيقة مجهولة المصدر محفوظة في الأرشيف العثماني

[Prime Ministry Archive], Kamil Kepeci1772, fol. 153.

كما تتضمن مرقعة بها لوحات الخط العربي البديع مزينة بإضاءت ورسوم انيقة، بالإضافة إلي ملابس صوفية مطرزة بالذهب واثنتا عشرة سجادة فارسية صغيرة الحجم مطرزة بالذهب، وكان من بين الهدايا خيمة كبيرة من الحرير الأزرق مطرزة من الخارج والداخل بالذهب ومرصعة بالأحجار الكريمة، ولها قبة مرصعة علي كامل سطحها بالأحجار الكريمة.[٥]

وقد استمر تدفق المخطوطات عن طريق الهدايا في القرن ١١هـ/ ١٧م، حيث أرسل الشاه عباس الأول بعثة في عام ١٠٢٨هـ/ ١٦١٩م برئاسة السفير *Yakdar* علي "يكدر علي" إلي بلاط السلطان عثمان الثاني، تضمنت هذه البعثة مجموعة من المخطوطات المصورة، بالإضافة إلي مجموعة من الحيوانات تشتمل علي أربع أفيال ونمر وكركدن.[٦]

كما كانت المخطوطات من الهدايا المتبادلة بين الأشخاص من الفرس والاتراك، ومن ذلك علي سبيل المثال مخطوطان من مدينة شيراز محفوظان بمكتبة قصر طوبقابي سراي باستانبول تحت رقم (H.724-H814) عليهم ملحوظة في الصفحة الأول انهم (هدية من زوجة حسن باشا الموظف في شيراز)،[٧] وقد وجد في متحف طوبقابي

---

(1) Tanindi,Z. Additions To Illustrated Manuscripts In OttomanWorkshop, p. 148

(٢) عباس إسماعيل صباغ، تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية، ص ١٨٦.

(3) UluÇ, L.; The Ottoman Contribution to Sixcteenth Century Shirazi Manuscripts Production, p. 127.

(4) Soudavar,A.;The Age of Muhammadi, p. 66.

(5) Arcak,Sinem; Gifts in motion: Ottoman–Safavid Cultural Exchange, 1501-1618, pp. 172-173

(6) Titley,N.;Persian Miniature Painting, p. 135.

(7) UluÇ, L.; The Ottoman Contribution to Sixcteenth Century Shirazi Manuscripts Production, p. 126; Cağman, F. & Tanindi, Z.; Remarks on Some Manuscripts from the Topkapi Palace Treasury, p. 145, Nots. 2.

سراي مجموعة هامة من المخطوطات الفارسية كانت ملكاًسنان باشا[١]، وكانت مكتبته تضممجموعة كبيرة من المخطوطات الفارسية من بينها نسخة من شاهنامة الفردوسي محفوظة تحت رقم (H.1481) ونسخة من عجائب المخلوقات للقزويني (H.403) ونسخة من خمسة نظامي (H.780)، وربما كان سنان باشا قد اشتري مجموعة من هذه المخطوطات عندما عمل كقائد علي الجبهة الشرقية او تلاقها كهدايا،[٢] وهناك مخطوط آخر في نفس المكتبة تحت رقم H.924 عليه ملحوظة في بدايته تفيد أنه هدية من مير عبد الله محمود شهرستان إلي سنان باشا[٣]، ربما ربما يكون هذا الشخص أحد المبعوثيين الصفويين الثلاثة الذين قابلوا القائد العثماني سنان باشا في مركز قيادته في ارضروم عام ١٥٨٠-١٥٨١م اثناء الحروب العثمانية الصفوية في هذا العام، ومن هذا نجد أن الحروب العثمانية الصفوية قد اثرت المكتبة العثمانية بالمخطوطات النفيسة التي كانوا يطلبوها، وقد تزايد عمل المجمع الفني بمدينة شيراز بصفة خاصة في هذه الفترة مع تزايد الطلب علي المخطوطاتها ذات الجودة.

ولما كانت المخطوطات الفارسية ذات أهمية كبيرة للسلاطين العثمانيين فكان كبار رجال الدولة يقومون بأهداء السلطان نسخة فارسية مصورة وذلك في محاولة للتودد والتقرب من السلطان علي سبيل المثال عندما قدم احد الوزراء العثمانيين ويدعي سياويش باشا بتقديم نسخة مصورة من مخطوط الشاهنامة في الاحتفال بختان ابن السلطان، والتي كانت تعد في هذه الفترة من أفضل الهدايا القيمة.

وقد قدم حسن باشا الساعاتي (SAATÇI HASAN) نسخة من مخطوط خمسة نظامي B.147 وكان هذا الباشا حاكماً علي مدينة تبريز عام ١٠٠٦هـ/ ١٥٩٥م وقد امره السلطان بالعودة إلي استانبول في حفل ختان ابنه رداً علي هذه الهدية القيمة.[٤]

هجرة الفنانيين

بدأت هجرة الفنانين من بلاد فارس في وقت مبكر وذلك عندما هزم السلطان محمد الفاتح أوزون حسن حاكم التركمان وذلك نتيجة لما عرف عن الفاتح برعايته للفنانين (تستكمل معلومة عن هذه الحرب والموقعة) وقد أمر بترحيل كثير من الصناع والفنانين إلي البلاط العثماني، ومن هولاء الفنانين علي بن فتح المدني الأصفهاني، وعطاء الله التبريزي وغياث الدين المجلد الأصفهاني الذي يعد من أشهر الفنانين الذين انتقلوا إلي بلاط استانبول بعد عام ١٤٧٣م ويعتقد أنه ممن جاءوا في صحبة الأمير أوغورلو محمد ابن أوزون حسن الذي لجأ إلي البلاط العثماني وكان لهذا الأمير دور عظيم في ازدهار المرسم السلطاني في استانبول، فقد أصطحب معه إلي استانبول مجموعة من الفنانين التركمان، وكذلك مجموعته الفنية وكنوزه الخاصة، التي أثرت بدورها المرسم العثماني في

---

(١) لعب سنان باشا دوراً مهما رجل الدولة العثمانية الذي مهماً في العلاقات الصفوية العثمانية. وكان سنان باشا الحاكم العام لدمشق ومصر عام ١٥٦٠ وسردار اليمن عام ١٥٦٨ وفي تونس عام ١٥٧٤، وكان قائد الحملات الشرقية في عهد مراد الثالث بين عامي ١٥٧٧-١٥٨٢، وعين في منصب الوزير الأعظم في عهد مراد الثالث عدة مرات.

(2) Cağman, F. & Tanindi, Z.; Remarks on Some Manuscripts from The Topkapi Palace Treasury, p. 145, Nots 2.

(3) UluÇ, L.; The Ottoman Contribution to Sixcteenth Century Shirazi Manuscripts Production, p. 126; Cağman, F. & Tanindi, Z.; Remarks on Some Manuscripts from The Topkapi Palace Treasury, p. 145, Nots 2.

(4) UluÇ, L.; The Ottoman Contribution to Sixcteenth Century Shirazi Manuscripts Production, pp. 125-128.

استانبول، لأن شيراز وهي المدينة التي قدم منها الأمير كانت من أهم المراكز الفنية النشطة في إنتاج المخطوطات المزوقة في تلك الفترة.(١)

وقد أدت الحروب المستمرة والصراعات الداخلية بين أفراد الأسرة الصفوية وتهديدات مستمرة بالاحتلال لهجرة الفنانين من إيران للبحث عن رأعي آخر ومنهم مجموعة جاءت إلي البلاط العثماني باستانبول، حيث يتميز باستقرار الراسمال الذي أدي إلي وجود مدرسة متطورة، كما كانت مكتبة القصر أمنة وليست عرضة للنهب أو السلب،(٢) وكان أعلان الشاه طهماسب لمرسوم التوبة الصادقة سنة ٩٥٢هـ/ ١٥٤٥م الذي يحرم الفنون الدنيوية في كافة أنحاء المملكة سبباً في هجرة العديد من الفنانين إلي الدول المجاورة، حيث اعتبر الفنون مضيعة للوقت، وطلب من مصوري المجمع الملكي البحث عن عمل آخر.(٣)

ويذكر أن هناك مجموعة من الفنانين قد جاءوا مع بديع الزمان ميرزا عند انتقاله إلي إستانبول وتحتوي السجلات الأرشيفية لمكتبة قصر طوبقابي سراي علي أسماء عشرة من الفنانين الفرس الذين عملوا تحت رعاية السلطان العثماني بايزيد الثاني، وتظهر بعض السجلات الأخري نفس أسماء هولاء الفنانين يعملون تحت رعاية وريثه السلطان سليم الأول، وقد إزدادت أعداد الفنانين الذين عملوا تحت رعاة السلطان العثماني في بداية القرن ١٠هـ/ ١٦م إلي أعداد كبيرة.(٤)

وتظهر وثيقة مؤرخة بعام ٩٣٣هـ/ ١٥٢٦م تحتوي علي أسماء ٤١ فنانا منهم ٢٩ استاذ و ١٢ متدرب "صبي"، حيث نجد ٦ استاذة من تبريز و ٣ من إيران (عجم)، وهذه الوثيقة تسجل الفنانين الذين يعملون في نقش خانة بأدرنة، وهي تشير إلي أن العاصمة القديمة كانت لاتزال نشطة في انتاج المخطوطات، وهناك وثيقة آخري تمثل سجل مرتبات مؤرخ بعام ٩٥٢هـ/ ١٥٤٥م ويشتمل علي اسماء ٥٩ فنان منهم أحد عشر مصوراً وأربعة صبية ، أما العجم (الفرس) فهم ٢٤ استاذاً و ٢٠ متدرباً "صبياً"، ترأس منهم شاه قولي ٤٤ رساما منهم أربعة من البوسنة وثلاثة من النمسا واثنان من الجراكسة وواحد من البانيا ومولدافيا والروملي(٥)، كما تسرد وثيقة معاصرة أسماء ستة عشر استاذاً من تبريز وتشير إلي أنهم رسامين، و ٢٣ متدرب "صبي" من تبريز أيضاً.

ويشير سجل آخر يحتوي علي وثيقة مؤرخة ٩٦٦هـ/ ١٥٥٨م تحتوي علي أسماء تسعة فنانين من إيران، وقد اصطلح في السجلات التالية مصطلح الرسامين الملكين لكل من الاستاذ والمتدرب بحيث وحدت المجموعات وأصبحت تمثل وحدة متجانسة وذلك ينعكس بوضوح في التصاوير التي ترجع إلي عام ٩٦٨هـ/ ١٥٦٠م، وعلي الرغم من أعداد الفنانين الكثيرة التي وردت في السجلات إلا أن تصاوير المخطوطات خلت معظمها من توقيع

---

(١) وهو أكبر أبناء أوزون حسن، وقد عارض رغبة والده في محاربة العثمانين، ولذلك تعرض لسخط أبيه عليه، وفر لاجئاً إلي السلطان محمد الفاتح في استانبول، وذلك في عام ١٤٧٤م وتزوج من ابنة السلطان الفاتح، وقد قتل أوغورلوا محمد علي يد أحد قواد أوزوان حسن عام ١٤٧٧م، عاطف مرزوق، التصاوير العثمانية المبكرة، ص٣٢، انظر أيضاً:
Tanindi, Z. 'Additions to Illustrated Manuscripts in Ottoman Workshops, p. 148.

(2) Titley, N.; Early Ottoman Miniature Painting: Tow Recently Acquired Manuscripts in The British Library, p. 124.

(٣) صلاح أحمد البهنسي، مناظر الطرب في التصوير الإيراني "في العصرين التيموري والصفوي"، ص ١٢٨.

(4) Titley, N.; Persian Miniature Painting and Influnce, pp. 133-134.

(5) Atasoy, N. & Cagman,F.; Turkish miniatures Painting,Istanbul,1974, p. 22.

الفنان،[١] ومن بين الفنانيين الذين وفدوا علي المرسم السلطاني بعد غزو تبريز إبان عهد سليم الأول: محمد شاه وعبد الغني درويش باي وعبد الفتاح وشريف وعلي قولي وعلاء الدين محمد وشيخ كمال وعبد الخالق وميرزا باي ومنصور باي، وعلي أيدي هولاء تعلم العديد من المصورين الأتراك فمثلاً المصور التركي علي تتلمذ لمصور إيراني يعرف بمحمد بيك في عهد سليمان القانوني[٢]، وهناك فنان يعتقد أنه نفذ تصاوير مخطوط سليم نامة لشكري البتليسي وهو بير أحمد بن اسكندر،[٣] كما ينسب إليه نسخ ويعتقد تزويق مخطوط خمسة مير علي شيرانوائي مؤرخة بعام ٩٣٧هـ/ (١٥٣٠-١٥٣١م) محفوظ في متحف طوبقابي سراي باستانبول[٤] ومن المعروف ان بير أحمد بن اسكندر كان من بين الفنانين الذين نقلهم سليم ياوز إلى استانبول بعد فتح تبريز، لذلك فان هذا الفنان هو مصدر اثار اسلوب شيراز وتبريز والتركمان الذى نراه فى العمل، وتدخل ايضا فى التجليد والتذهيب الذى تم بالأسلوب العثمانى.[٥]

ومن أهم المصورين الإيرانيين الذين هاجروا إلي استانبول الفنان شاه قولي البغدادي وقد ترك تبريز وانضم إلي بلاط السلطان سليمان القانوني، حيث أرتقي لرئاسة المجمع الفني الملكى،[٦] وشاه قولي البغدادي إيراني خدم الأق قيونللو ثم الشاه إسماعيل الصفوي حوالي عام ٩٠٧هـ/ ١٥٠١م ثم عاش في مدينة أماسيا ودخل إستانبول وارتبط بالمرسم السلطاني عام ٩٢٧هـ/ ١٥٢٠م[٧]، وكان من أوائل المصوريين الإيرانيين الذين عملوا في المرسم السلطاني، وقد وصل إلي إلي مكانة الصدارة في عهد السلطان سليمان القانوني وحظي برعايته هو والمصور كمال الدين التبريزي الذي كان تلميذاً لميرزا على.[٨]

وتشير إحدي وثائق القصر المؤرخة بعام ٩٣٢هـ/ ١٥٢٥-١٥٢٦م أن الفنان شاه قولي ترأس ٢٩ أستاذاً و ١٢ صبيا[٩]، وتشير وثيقة ترجع إلي ما قبل عام ٩٥٢هـ/ ١٥٤٥م إلي أن المصور شاه قولي قد أهدي السلطان سليمان القانوني تصويرة تمثل "ملاكاً" محفوظة في متحف الفرير للفنون بواشطن،[١٠] وفنان آخر من تبريز وهو ولي جان، وقد ترأس المرسم السلطاني في عهد السلطان مراد الثالث (٩٨٥-١٠٠٤هـ/ ١٥٧٤-١٥٩٥م)، وكان

---

(1) Atil, E.; Turkish Art, p. 165.

(٢) حسن محمد نور، التصوير الإسلامي الديني، ص ٣٧.

(3) Özbek,Y.; Sükr-I Bitlisi Selimnamesi Minyatürleri, P1 52.

(4) Atasoy, N. and Cagman, F.; Turkish Miniature Painting, p. 86.

(5) Özbek, Y.; Šükr-I Bitlisi Selimnâmesi Minyatürleri, p. 163.

(6) Canby, SH. R.; Princes, Poets and Paladins" Islamic and Idian Paintings from The Collection of Prince and Princess Sadruddin Aga Khan, London, British Museum Press, London,1998, p. 96; Welch, A. & Welch, S. C.; Arts of The Islamic Book, p. 30.

(٧) حسن محمد نور، التصوير الإسلامي الديني، ص ٣٧.

(٨) رجب سيد أحمد المهر، تصاوير المخطوطات العثمانية في القرن (١٠هـ/ ١٦م) في ضوء مجموعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، ص ص ص ٤٠٠-٤٠١.

(٩) حسن محمد نور، التصوير الإسلامي الديني، ص ٣٢.

(10) Atil, E.; The Art of the Book, Turkish Art, p.194, PL. 89.

ولي جان تلميذاً سياوخش الجورجيانى،[١] ويعد من أشهر المصورين الإيرانيين الذين عملوا في المرسم السلطاني بعد بعد المصور شاه قولي التبريزي، ووصل إلي وظيفة مصور البلاط في نهاية القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي وتمتع بسمعة طيبة وأخلاق حسنة، وقد أشتهر برسم الصور الشخصية للدراويش والزهاد والمداحين والمغنيين والمغنيات وضاربات الدف، ويرجع إليه الفضل في إدخال الأساليب الإيرانية في التصوير العثماني في فترة الأصالة وتميزت أعماله بالاعتماد علي الخط وقلة الألوان والميل نحو إضفاء الطابع العثماني علي تصاويره علي الرغم من أصولها الإيرانية الظاهرة، وقد ذكرت إحدي الوثائق أن هذا المصور كان أحد المصورين المشهورين الذين شاركوا في تزويق نسخة من مخطوط المآثر "هونر نامة"،[٢] وكان مصطفي علي قد ذكره في كتابه أصحاب المناقب الذي كتب في بغداد عام ١٥٨٦-١٥٨٧م حيث ذكر ان والي جان فنان تبريزي عمل في البلاط العثماني وله أخ يدعى حسين بك مصور أيضاً، وذكر أوليا جلبي ولي جان أيضاً كفنان عمل في القصر العثماني، وهناك من ينسب اليه تزويق مخطوط شجاعة نامة العثماني المصور حسب اسلوب مدرسة قزوين الفارسيةعلي اساس انه تلميذ سياويش بيك الذي عمل في مدرسة تبريز وقزوين، وينسب لوالي جان ثماني لوحات عليها توقيعه محفوظة ضمن مرقعات بمتحف طوبقابي تتبع أسلوب مدرسة قزوين وتتشابه مع اسلوب مخطوط شجاعة نامة، ومن هذا يبدو أن اسلوب مدرسة قزوين قد دخل االمرسم العثماني من خلال والي جان التبريزي.

الأقبال علي اقتناء المخطوطات الفارسية

وجد في هذه الفترة سوق رائجة لتجارة المخطوطات الفارسية في إستانبول، حيث كان يسعي كبار رجال الدولة العثمانية إلي اقتناء المخطوطات الفارسية القيمة، فقد وجد ختم ملكية خاصة في أغلبية المخطوطات المحفوظة في مكتبات إستانبول، حيث يوجد في مكتبة متحف طوبقابي سراي ٤٢ مخطوط شيرازي كانوا ملكية خاصة لبعض أعضاء من العائلة الحاكمة وموظفين في مناصب عليا، وهي توضح الإقبال العثماني علي هذه المخطوطات وذلك إما عن طريق هدايا الصفويين أو عن طريق الشراء، حيث يشير هذا إلي وجود سوق رائجة للمخطوطات الفارسية، ويذكر ان عملية بيع وشراء المخطوطات الفارسية انتشرت في مدن الحدود الشرقية وإستانبول، وهناك مثال لمخطوط شيرازي مؤرخ بعام ٩٧٥هـ/ ١٥٦٨م محفوظ في مكتبة متحف طوبقابي سراي وعليه ملحوظة في ورقة بيضاء في المخطوط ترجع إلي فترة لاحقة لتاريخ النسخ تفيد "بأن حاجي علي تكاطي من المدينة العثمانية طوقات قد اشتري المخطوط من شيراز ويمكنه إعادة بيعه"، كما أن هناك بعض المخطوطات قد تم إعدادها خصيصا

---

(1) Titley, N. M., Persian miniatures painting and its influence on the art of Turkey and India, the British Library Collection, P1. 57.

سياوخش الجورجياني: أسر في إحدى غزوات الشاه إسماعيل الثاني، ونظراً لأنه كان مصوراً ماهراً فقد منح العطايا، وصعد إلى المرسم الملكي، وأصبح بالتدريج واحداً من أعظم مصوري إيران. صلاح أحمد البهنسي، فن التصوير في العصر الإسلامي، ص. وعمل في البلاط الصفوي في عهد شاه طهماسب ١٥٢٤-١٥٨٦م والشاه اسماعيل الثاني ١٥٧٦-١٥٧٧ في كلا من تبريز وقزوين، مقالة تاثير مدرسة قزوين، ص.

(2) Canby, Sh. R.; Princes Poets And Paladins, p. 97; Fehèr, G.; Turkish Miniatures From The Period of Hungary's Turkish Occupation, Corvina Press Magyar Helikon, Budapest, 1978, p. 21.

رجب سيد المهر، تصاوير المخطوطات العثمانية، ص ٤٠٨.

للسوق العثماني، وذلك مثل مخطوط شاهنامة الفردوسي المؤرخ بعام ٩٧٠-٩٩١هـ/ ١٥٦٢-١٥٨٣م تحمل ما يفيد أنها نظمت لأجل السلطان مراد الثالث المحب للمخطوطات[١].

تسرد وثيقة عبارة عن سجل مصادرة مؤرخ بعام ٩٩٦هـ/ ١٥٨٨م يوكد أن علي جلبي العثماني قد عاش ومات في بودين بالمجر عام٩٩٥/ ١٥٨٧م تحتوي الوثيقة علي أدوات خطاطين وهي تدل علي أنه زوال مهنة الخطاط بنفسه ويمتلك قواميس وكتب فارسية وعربية وتركية، وتألفت مكتبته من كتب للأدب معظمها باللغة الفارسية منها شاهنامة الفردوسي بحجم كبير ونسختين من مخطوط يوسف وزليخا ونسختين لخمسة نظامي، ونسختين من عمل حافظ، ونسخة من تيمور نامة وديوان شاهي.

وتذكر إحدي الوثائق أن قصر شاه سلطان ابنه السلطان سليم الأول قد اشترى نسختين من مخطوط خمسة نظامي ب ٥٠ جنيه من الذهب وهذه الوثيقة مؤرخة بـ ٣ رمضان ٩٨٥هـ/ ٢٤ نوفمبر١٥٧٧م، وتشير وثيقة ان محمد باشا[٢] قد صودرت مكتبته وكانت تحتوي علي ٣٣ كتابا منها ١٣ ثلاث عشر كتاباً لمؤلفين فرس منها ثمانية مخطوطات مصورة ومذهبة.

وهناك وثيقة آخري مؤرخة بعام ١١٤٣هـ/ ١٧٣٠م تسرد أن إبراهيم باشا الصدر الأعظم للسلطان أحمد الثالث قد صودرت مكتبته بعد مقتله علي يد الأنكشارية وهي تحتوي علي ما يقرب من ٩٠٠ كتاب بها عدد كبير من مخطوطات الأدب الفارسي مثل شاهنامة الفردوسي وخمسة نظامي وتاريخ الطبري وديوان نوائي وديوان حافظ وعجائب المخلوقات للقزويني وديوان سعدي وديوان جامي، كما نجد وثيقة عبارة عن قائمة حصر (كسابقيها) ترجع إلي القرن١٠هـ/ ١٦م تضم٢١٠ مخطوط في مكتبة باشا مجهول ثلث هذه المخطوطات فارسية، عبارة عن سبعة مجلدات لسعدي، وثلاث عشرة نسخة للشاعر نظامي، وتسع لجامي، واثنان للطبري، وخمس نسخ من شاهنامة الفردوسي، واربعة مخطوطات لفريد الدين العطار، ونسخة لديوان نوائي وآخري لشيخي والعديد من هذه المخطوطات تحتوي علي تصاوير.

كما تحتوي سجلات أرشيف مكتبة القصر الملكي علي آلاف المخطوطات الفارسية جاءت من مصادر مجهولة وهي تدل علي وجود جامعين للمخطوطات وخاصة الفارسية المصورة[٣].

نوال جابر محمد علي

---

(1) UluÇ, L.; The Ottoman Contribution to Sixcteenth Century Shirazi Manuscripts Production, p. 125.

(٢) أحد رجال حاشية السلطان مراد الثالث وقد قتل في تمرد الانكشارية عام ٩٩٧هـ/ ١٥٨٩م

(3) UluÇ, L; Ottoman Book Collectors and Illustrated Sixteenth Century Shiraz Manuscripts, Livres et lecture dans le monde ottoman II. Le persan, langue de culture,September 1999, p.85-106